مقدمة

منذ أن تفجر الصراع العربى الإسرائيلى المسلح فى أغسطس عام ١٩٤٨، ظلت القوة الجوية للجانبين تلعب دوراً بارزاً فى هذا الصراع، بل إننا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إنها كانت دائماً مفتاح النصر فى كل جولاته، ومن هنا تبرز أهمية التأريخ لهذه القوة ودورها فى ذلك الصراع، حتى يمكن استخلاص الدروس المستفادة من ذلك التاريخ.

وتبحث هذه الدراسة فى الدور الذى لعبته السياسة المصرية والإسرائيلية فى بناء واستخدام القوة الجوية للجانبين، وانعكاس هذه السياسة على تطور هاتين القوتين حتى بداية دخولهما عصر النفاثات - كأولى حلقات ذلك التاريخ.

وترجع أهمية هذه الدراسة إلى الاعتبارات التالية:

١ ـ تتناول هذه الدراسة نشأة وتطور القوة الجوية المصرية والإسرائيلية خلال ثلاثة عقود، تمثل إحدى أهم مراحل التطور السياسى المصرى والإسرائيلى، والتى انعكست على بناء واستخدام القوة الجوية لكل منها.

٢ ـ تتناول هذه الدراسة لأول مرة - ومن زاوية لم يسبق طرقها من قبل - تاريخ القوة الجوية المصرية والإسرائيلية بأسلوب علمى موثق.

٣ ـ تفتقر المكتبة العربية عامة والعسكرية على وجه الخصوص إلى الدراسات العلمية المتخصصة التى تتناول تاريخ القوة الجوية المصرية والإسرائيلية بشكل متصل، وتبرز التأثيرات السياسية المتبادلة على تطور كل منهما حتى معاهدة السلام بين البلدين عام ١٩٧٩.

وقد حاولت فى البداية، سد هذه الثغرة بهذه الدراسة، إلا أننى وجدت أن فترة البحث ـ والتى تمتد أكثر من نصف قرن ـ لايمكن تغطيتها فى كتاب واحد.

ومن ثم، اقتصر هذا الكتاب على الفترة التى تغطى المرحلتين الأوليين من تاريخ هاتين القوتين وهما:

١ ـ بناء واستخدام القوة الجوية المصرية والإسرائيلية حتى قيام الدولة اليهودية.

٢ ـ بداية الصراع بين هاتين القوتين وتطورهما حتى بداية دخولهما عصر النفاثات.

على أن يتبعه أجزاء أخرى تغطى باقى جوانب الموضوع حتى معاهدة السلام المصرية والإسرائيلية.

وقد تم معالجة موضوع الدراسة باستخدام منهجين رئيسيين هما: منهج البحث التاريخى والدراسة المقارنة، وقد استخدم المنهج الأول للتوصل إلى العوامل السياسية وطبيعة السياسات التى أثرت على نشأة وتطور القوة المصرية والإسرائيلية، وطبيعة ذلك التأثير، أما الدراسة المقارنة فقد استخدمت للمقارنة بين سياسة البلدين والنتائج التى ترتبت عليها – بالنسبة للقوة الجوية – كلما كان ذلك ممكنا.

وقُسمت الدراسة إلى ثلاثة أبواب اشتملت على ثمانية فصول. وتم التمهيد لها باستعراض المناخ السياسى والعسكرى فى مصر، عند بدء تكوين القوى الجوية فى العديد من دول العالم خلال العقدين الأولين من هذا القرن. وهو المناخ الذى كان يستحيل فيه إنشاء القوة الجوية المصرية آنذاك، بالرغم من إقامة مهرجان الطيران الدولى الثانى فى سماء القاهرة فى الثالث عشر من فبراير ١٩١٠ تحت رعاية الأمير أحمد فؤاد.

وتناول الباب الأول تأسيس القوة المصرية والإسرائيلية وتطورهما حتى قرار التقسيم. حيث عالج الفصل الأول أثر محصلة السياسة المصرية والبريطانية – فى ظل تصريح ٢٨ فبراير – على إنشاء القوة الجوية البريطانية حتى إبرام معاهدة ١٩٣٦، بينما تناول الفصل الثانى، أثر هذه السياسة على تطور تلك القوة فى ظل معاهدة ١٩٣٦ والتزاماتها، أما الفصل الثالث، فقد تناول تأثير العلاقة المصرية/ البريطانية والسياسة المصرية تجاه تطور المشروع الصهيونى، على تطور بناء واستخدام القوة الجوية المصرية خلال الحرب العالمية الثانية ومابعدها حتى قرار التقسيم، كما تناول ذلك الفصل تأثير تطور المشروع الصهيونى فى فلسطين على إنشاء القوة الجوية الإسرائيلية حتى صدور ذلك القرار فى نوفمبر ١٩٤٧.

وتعرض الباب الثانى، لأولى جولات الصراع المسلح بين إسرائيل والدول العربية وأثر هذه الحرب على تطور واستخدام القوة الجوية المصرية والإسرائيلية خلال تلك الجولة. حيث تناول الفصل الرابع انعكاسات السياسة المصرية والإسرائيلية على تطور واستخدام القوة الجوية

للجانبين خلال مرحلة الحرب غير المعلنة (ديسمبر ١٩٤٧ - ١٤ مايو ١٩٤٨). بينما تناول الفصل الخامس، انعكاس سياسة البلدين خلال أولى مراحل الحرب المعلنة، على تطور واستخدام القوة الجوية للجانبين فى تلك المرحلة، أما الفصل السادس، فقد تعرض لأثر سياسة البلدين على تطور واستخدام القوة الجوية للجانبين خلال آخر مراحل هذه الحرب.

وفى النهاية، غطى الباب الثالث، أثر السياسة المصرية والإسرائيلية على تطور القوة الجوية للطرفين فى ظل الهدنة وحتى قيام الثورة. حيث تناول الفصل السابع أثر هذه السياسة على تطور قوتى الجانبين فى ظل التعاون المصرى مع الغرب والحياد الإسرائيلى تجاه المعسكرين فى أولى سنوات الهدنة. أما الفصل الثامن، فقد تناول أثر التحول الذى طرأ على السياسة المصرية والإسرائيلية على تطور القوة الجوية للجانبين، اعتبارا من عام ١٩٥٠ وحتى قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢.

وقد واجه المؤلف عدة مشاكل خلال عمله فى هذه الدراسة، كان أبرزها ندرة المصادر المصرية الأصلية المتاحة - التى تغطى فترة إنشاء القوة الجوية خلال العقدين الثالث والرابع من هذا القرن - وانحياز المصادر الإسرائيلية والغربية التى تيسرت للبحث، والتى حوت العديد من المغالطات، نظرا لأن معظم المصادر الأخيرة تندرج فى إطار مذكرات السياسيين والعسكريين الإسرائيليين، الذين لعبوا دوراً بارزاً فى السياسة الإسرائيلية أو ساهموا فى إنشاء وتطوير سلاحها الجوى. أما الجزء الآخر، فإنه يندرج فى إطار الدراسات المنحازة التى تعبر عن وجهة النظر الإسرائيلية أو تتشيع لها.

وقد تم التغلب على هذه المشاكل بالاعتماد على الوثائق الرسمية البريطانية والأمريكية بالإضافة إلى الدراسات العلمية والدراسات المصرية لكبار الأساتذة والباحثين التى تناولت موضوع البحث، بعد مناقشة مابها من اختلاف عن الوثائق الرسمية، أما بالنسبة للمصادر الإسرائيلية والغربية المشايعة لها، فقد تم معالجة انحيازها ومابها من مغالطات باستخدام منهج البحث العلمى فى نقد الأصول، ومناقشة مابها من مغالطات لاستخلاص الحقائق التاريخية من هذه المصادر.

وكانت أبرز مصادر المادة العلمية لهذه الدراسة هى:

١ ـ الوثائق المصرية غير المنشورة المحفوظة بدار الوثائق القومية ووزارة الدفاع والمتحف الحربى ومجلس الشعب.

٢ ـ الوثائق البريطانية غير المنشورة المحفوظة بقيادة القوات الجوية المصرية ودار الوثائق البريطانية.

٣ ـ الوثائق الأمريكية المنشورة والمحفوظة فى المركز الثقافى الأمريكى بالقاهرة.

٤ ـ المذكرات المنشورة للسياسيين والعسكريين المصريين والإسرائيليين الذين لعبوا دوراً بارزاً فى سياسة البلدين وإنشاء وتطوير قواتهما الجوية.

٥ ـ الدراسات المصرية والإسرائيلية الرسمية التى تناولت التاريخ العسكرى للجانبين.

٦ ـ الرسائل العلمية المنشورة وغير المنشورة.

٧ ـ أقوال السياسيين والعسكريين المصريين الذين شاركوا فى بعض الأحداث التى تناولتها الدراسة وأدلوا بشهادتهم للمؤلف عن هذه الأحداث.

٨ ـ الدراسات السياسية والتاريخية والعسكرية لأساتذة الجامعات وكبار الكتاب والباحثين التى تناولت الصراع العربى الإسرائيلى وتطور القوات المسلحة لأطراف الصراع.

٩ ـ الصحف والمجلات المصرية التى تناولت بعض أحداث هذه الدراسة.

إلا أنه من الواجب أن نشير هنا إلى أن المؤلف اختلف مع بعض ماجاء فى المصادر المصرية والإسرائيلية والأجنبية السابقة، وهو ماتم مناقشته فى سياق هذه الدراسة، كما أن كل المصادر الإسرائيلية ومعظم الدراسات الأجنبية وبعض الدراسات المصرية التى تمت الاستعانة بها فى هذه الدراسة، تعبر عن رؤية منحازة وتحوى العديد من المغالطات التى تحتاج من الباحث إلى تحقيقها بطريقة علمية - وهو ماحاوله المؤلف بالنسبة للمادة العلمية التى استخلصها من هذه المصادر. إلا أنه يمكن القول أن مافى هذه المصادر من قصور، لا يقلل من قيمتها كمصادر مفيدة للبحث العلمى الذى يتناول الصراع العربى الإسرائيلى ودور السياسة المصرية والإسرائيلية فى هذا الصراع، وانعكاس هذه السياسة على بناء واستخدام القوات المسلحة للجانبين، لما احتوته من مادة علمية مفيدة وغزيرة فى هذا المجال.

وفى النهاية، فإننى أرجو من الله العلى القدير أن أكون قد وفقت فى هذا البحث بما يحقق الغرض منه، فقد حاولت أن أذلل أمامه الصعاب وأعطيه ماوسعنى العطاء.

والله ولى التوفيق.

المؤلف

تمهيد

بدء عصر الطيران ومصر تحت الاحتلال

عندما حقق رائد الطيران "أورفيل رايت" أول تحليق ناجح فى تاريخ البشرية بطائرته المروحية البسيطة عام ١٩٠٣، لم يكن يخطر بخَلَدَ ذلك الرائد آنذاك، أن اختراعه هذا سيُصبح - بعد أقل من عشر سنوات - أحد أهم أسلحةِ الصراعِ المسلحِ (١).

فبعد أقل من ست سنوات، بدأ هذا الطائرُ الجديدُ يغزو العديد من جيوش الدول المختلفة، مشكلا أحدث أسلحتها فى ذلك الوقت. حيث بدأت فرنسا فى تشكيل قوتها الجوية خلال شهر يونيو عام ١٩١٠، ثم ألمانيا فى أكتوبر من نفس العام، تلتها بريطانيا والولايات المتحدة وإيطاليا خلال شهور فبراير ومارس وأغسطس عام ١٩١١ على التوالى. وأعقب هذه الدول. روسيا فتركيا خلال شهرى يوليو وأكتوبر من عام ١٩١٢ (٢).

ولم يكن تشكيل القوى الجوية آنذاك قاصراً على الدول الكبرى، إذ إنّ دولاً أخرى أقل شأناً كبعض دول البلقان (رومانيا - بلغاريا - اليونان) بدأت فى استخدام الطائرات - كأحد أسلحة الحرب اعتباراً من عام ١٩١٢. بل إن دولاً حديثة التكوين كجنوب أفريقيا بدأت فى إنشاء قوتها الجوية عام ١٩١٥ (٣).

وفى الوقت الذى كانت فيه القوى الجوية تُشكل فى العديد من بلدان العالم المختلفة خلال العقدين الأولين من هذا القرن، كانت مصر ترزح تحت نير الاحتلال البريطانى منذ عام ١٩٨٢. ورغم إقامة مهرجان الطيران الدولى الثانى فى سماء القاهرة فى الثالث عشر من

---

(١) Chant, Chris. and others, The Encyclopedia of Air Warfare (London: Salamander Books, 1977), p. 10.

(٢) Ibid., p. 15.

(٣) Idem.

فبراير ١٩١٠ - بتشجيع من الأمير أحمد فؤاد والحكومة المصرية - فقد تأخر مولد القوة الجوية المصرية حتى عام ١٩٣٢ (١).

ويعود ذلك التأخير فى إنشاء تلك القوة - رغم قيام دول أخرى صغيرة أو حديثة التكوين بإنشاء قواتها فى مطلع هذا القرن - إلى السياسة البريطانية تجاه مصر وجيشها من ناحية، والسياسة المصرية تجاه الاحتلال البريطانى والجيش المصرى من ناحية أخرى.

وبالنسبة للسياسة البريطانية تجاه مصر بعد الاحتلال، فقد اختلف المؤرخون والكتاب فى شأنها، وخاصة فى سنوات الاحتلال الأولى. فبينما يرى عبد الرحمن الرافعى أن بريطانيا كانت تسعى دائما إلى توطيد نفوذها فى مصر، وترسيخ احتلالها كلما كانت الفرصة مواتية، بل وافتعال الأسباب التى تُسوِّغ لها هذا الاحتلال(٢)، يرى كل من الدكتور محمد جمال الدين المسدى والدكتور عبد العظيم رمضان أن هدف التدخل العسكرى البريطانى عام ١٨٨٢ لم يكن الفتح والضم، وإنما كان هدفه الأساسى هو القضاء على الثورة العرابية واستعادة الوضع الداخلى الذى كان قائما قبل الثورة والانسحاب بعد ذلك. ثم عدلت بريطانيا عن فكرة الجلاء السريع واستقر رأيها تدريجياً على الاحتلال الدائم لمصر وعدم الانسحاب نتيجة لتطورات الثورة المهدية فى السودان(٣). ويضيف الدكتور المسدى إلى الثورة المهدية، طبيعة سياسة الحزب الحاكم فى بريطانيا واتجاه العناصر الغالبة فيه، فضلاً عن سياسة "كرومر" الرامية إلى عدم الجلاء.(٤)

وقد ذهب كل من "بلنت" و"روشستين "مذهب عبد الرحمن الرافعى(٥)، بينما رأى "فيشر" أن الإنجليز استولوا على مصر بالصدفة!!(٦)، وهو قول شديد الغرابة.

إلا أن مايعنينا هنا هو تلاشى ذلك الخلاف فى مطلع هذا القرن - مع بداية عصر الطيران

---

(١) قيادة القوات الجوية، السجل التاريخى، ج ٢ (القاهرة: قيادة القوات الجوية، بدون تاريخ)، ص ٨.

(٢) عبد الرحمن الرافعى، تاريخ الحركة القومية، ج٢ (ط ٤؛ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١) ص ٢٥٩ - نفس المؤلف، الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى (ط٤ ؛ القاهرة: دار المعارف ١٩٨٤)، ص ٢٩٤، ٢٩٩.

(٣) د. عبد العظيم رمضان، الجيش المصرى فى السياسة ١٨٨٢ - ١٩٣٦ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧)، ص ٢٩.

(٤) د. محمد جمال الدين المسدى، لقاء شخصى، ٢٤ مايو، ١٩٨٧.

(٥) روشستين ،تيوبور، خراب مصر تاريخ المسألة المصرية ١٨٧٥ - ١٩١٠، ترجمة عبد الحميد العبادى، ومحمد بدران (ط ٢؛ بيروت: دار الوحدة، ١٩٨١)، ص ١٠، ١٦٧.

(٦) فيشر، أ. ل، تاريخ أوروبا فى العصر الحديث، ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع (ط ٨؛ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤)، ص٤١٢.

وإنشاء القوى الجوية فى العديد من الدول. حيث اتفّق المؤرخون والكتاب على أن سياسة بريطانيا فى مطلع القرن العشرين كانت تهدف إلى ترسيخ احتلالها لمصر.

وتحقيقا لهذا الهدف، مارست بريطانيا سيطرتها على الخديو والحكومة المصرية، وألزمتهما باتباع نصائحها!! . ومن خلال هذه النصائح الملزمة، نجحت بريطانيا فى تسريح جيش الثورة العرابية، وسحبت الجيش المصرى من السودان، وألغت البحرية المصرية، كما سيطرت على مالية مصر وألزمتها بدفع نفقات الاحتلال(١).

كما انفرد المعتمد البريطانى بسلطة القرار السياسى فى مصر، وامتد ذلك ليشمل اختيار النظار، بل وسياسة العمل فى النظارات المختلفة من خلال المستشارين البريطانيين الذين باشروا سلطة النظار فيها.

وبإعلان الحماية البريطانية على مصر فى الثامن عشر من ديسمبر ١٩١٤، وإلغاء تبعيتها للدولة العثمانية وإعلان الأحكام العرفية عليها، تهيأت الظروف بشكل أفضل لإحكام قبضة بريطانيا على مصر. ومن ثم، كان الفشل مصير تلك المحاولات التى قام بها كل من السلطان فؤاد والقوى الوطنية - بعد الحرب العالمية الأولى وقبل تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ - للسيطرة على الحكومة أو المشاركة فى سلطة القرار السياسى(٢).

إلا أنه بعد التغييرات السياسية التى حدثت فى أعقاب تصريح ٢٨ فبراير، وإعلان دستور ١٩٢٣ أصبح كل من القصر والقوى الوطنية شركاء لسلطات الاحتلال فى السلطة. كما تأكدت المسئولية الوزارية أمام البرلمان بمقتضى الدستور(٣).

تلك كانت سياسة بريطانيا تجاه مصر عامة قبل تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢. أما بالنسبة للجيش المصرى، فإنه يمكن القول، إنه كان أول أجهزة الدولة التى عنيت سلطات الاحتلال بالسيطرة عليها منذ اللحظة الأولى، وتميزت بصماتها عليه بالعمق والوضوح. فقد نجحت فى

(١) عبد الرحمن الرافعى، مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال (ط ٤؛ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣)، ص ١٣ - ١١٤.

(٢) سامى أبو النور، دور القصر فى الحياة السياسية فى مصر ١٩٢٢ - ١٩٣٦ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥)، ص ٢٤ - ٢٥.

(٣) نفس المرجع، ص ١٩.

تسريح جيش الثورة العرابية، وأخضعت الجيش الجديد - والذى رأت ألا يزيد عن ستة آلاف جندى - للقيادة البريطانية المباشرة، وتولى سبعة وعشرون ضابطاً انجليزياً قيادة أورطه وألويته. وامتدت يد التعديل إلى كل صغيرة وكبيرة فى الجيش لصالح الوجود البريطانى فى مصر. وعُطِّلت الورش والترسانات، وأُلغيت المعاهد العسكرية[١].

وقد أدت تلك السياسة إلى عدم السماح بأية تنمية حقيقية لقدرات مصر العسكرية أو تطويرها، إلا عندما يخدم ذلك المصالح البريطانية. وخير مثال على ذلك: سماح سلطات الاحتلال بزيادة قوة الجيش عام ١٨٨٦ إلى عشرة آلاف جندى، بعد نجاح الثورة المهدية وتقدمها إلى مصر، مهددة الوجود البريطانى فيها. بل إن "فرانسيس جرينفFrancis Grenfell" - سردار الجيش المصرى - طلب زيادة الجيش إلى أربعة عشر ألفاً وخمسمائة جندى. وخلال إعادة فتح السودان تحت القيادة البريطانية وصلت قوة الجيش إلى ١٦,٦٢٨جندى[٢].

إلا أنه بانتهاء فتح السودان والقضاء على الثورة المهدية تم تخفيض الجيش عام ١٩٠٠ بمقدار خمسة آلاف وخمسمائة ضابط وجندى[٣].

وخلال الحرب العالمية الأولى ارتفعت قوة الجيش إلى سبع عشرة كتيبة من المشاة، وثلاثة بلوكات مشاة راكبة وبلوك سوارى، بالإضافة إلى خمس بطاريات مدفعية[٤].

وما أن انتهت الحرب حتى خُفِّض الجيش مرة أخرى. حى وصلت قوته عام ١٩٢٤ إلى ٩,١٧١ ضابط وجندى. أى لاتزيد قوته القتالية عن سبع أورط من المشاة وبطارية مدفعية وأورطة سوارى[٥].

وهكذا كانت السياسة البريطانية تجاه تنمية وتطوير الجيش المصرى - تسير وفقا لما تمليه مصالحها الاستعمارية. إلا أنها فى كافة الأحوال لم تكن لتسمح بوصول هذا الجيش إلى القدر من القوة الذى يشكل خطراً على حاميتها فى مصر أو تبعده عن سيطرتها.

---

(١) د. عبد الوهاب بكر، الوجود البريطانى فى الجيش المصرى ١٩٣٦ - ١٩٤٧ (ط ١؛ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢)، ص ٦.

(٢) نفس المرجع، ص ١٤.

(٣) نفس المرجع، ص ١٥.

(٤) نفس المرجع، ص ١٦.

(٥) نفس المرجع، ص ١٩.

وحتى عندما أصدرت بريطانيا تصريحها المشهور فى ٢٨ فبراير ١٩٢٢، واعترفت باستقلال مصر وإلغاء الحماية البريطانية عليها، فإن تحفظاتها الأربعة – التى اشتمل عليها ذلك التصريح – أفرغت ذلك الاستقلال من مضمونه الحقيقى، وأبقت الجيش المصرى على حالته من الضعف خاضعا للسيطرة البريطانية حتى عام ١٩٣٦[١]. حيث أعطت هذه التحفظات لقوات الاحتلال حق الدفاع عن مصر والسودان وتأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية والمصالح الأجنبية فيها. وهو مايُلغى دور الجيش المصرى فى الدفاع عن وطنه ويُفقده مبرر وجوده.

وفى ظل هذه الظروف وتلك الأوضاع، وُلدت فكرة إنشاء القوة الجوية المصرية. ويرى الدكتور عبد العظيم رمضان أن اهتمام مصر بإنشاء سلاح جوى فى الجيش المصرى يعود إلى وزارة سعد زغلول الأولى عام ١٩٢٤، حين طلب وزير الحربية حسن حسيب فتح اعتماد بمبلغ مائة وخمسين ألفا من الجنيهات لإنشاء هذا السلاح[٢]. بينما يرى الدكتور عبد الوهاب بكر أن الحكومة المصرية اتخذت قرار إنشاء قوة جوية عام ١٩٢٥، عندما خصصت حكومة أحمد زيور (الأولى) مبلغ مائة وخمسين ألفاً من الجنيهات لإنشاء القوة الجوية المصرية وتسليح الأورط المصرية بمدافع ماكينة[٣]. إلا أن الوثائق البريطانية توضح أن أول اهتمام مصرى بإنشاء قوة جوية، يعود إلى عهد وزارة عبد الخالق ثروت (الأولى) فى نوفمبر عام ١٩٢٢[٤]. كما سيتضح فى الفصل الأول من هذا البحث.

---

(١) استمرت السيطرة البريطانية على الجيش المصرى بواسطة السردار حتى عام ١٩٢٤، ثم بواسطة المفتش العام حتى عام ١٩٣٦.

(٢) رمضان، الجيش المصرى فى السياسة، ص ٢١٢.

(٣) بكر، المرجع المشار إليه، ص ١٠٦.

(٤) Air 2/ 1066,1A Air Officer Commanding Royal Air Force, Middle East to the Secretary (Air Ministry), secret letter No. GS/ 1023, 2.12.1922., p. 1. (ملحق ١)

Air 2/ 1066, 39A, Note on the present situation, 25.7.1925. (ملحق ٢)